العدد الخامس والعشرون
2008

مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1376 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2008 مسيحي

- دقة التعبير في نهايات الآيات القرآنية
- الإيقاع النثري (صوره وخصائصه)
- صورة بلنسية في الموروث الأندلسي
- دور الإسلام في التواصل بين مناطق الساحل والصحراء الإفريقية

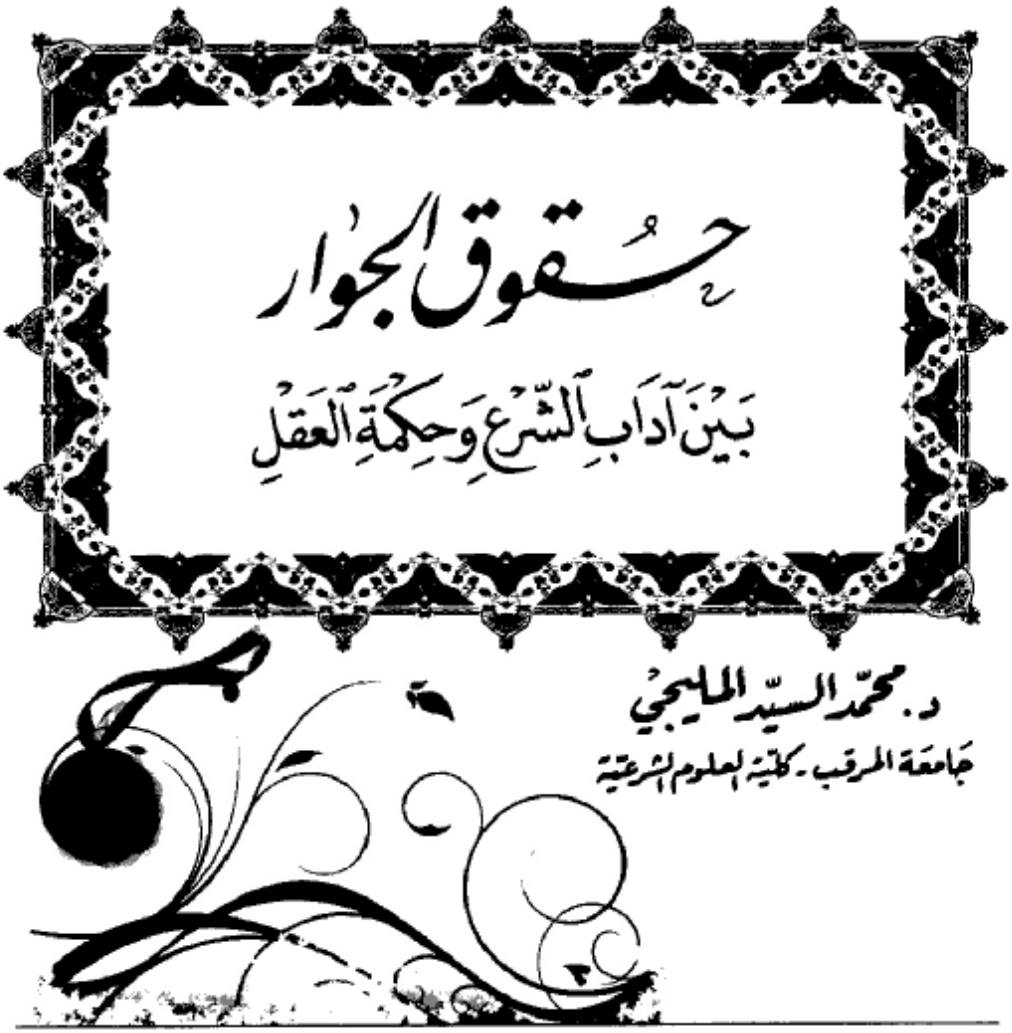

د. محمد السيد المليجي
جامعة المرقب - كلية العلوم الشرعية

حثَّت الشريعة الغراء على حسن معاملة الجار وإنزاله منزلة كريمة، تحفظ حقه، وتصون أهله، وترعى أولاده، وتحترم مشاعره، وتشاركه أفراحه، وتضمد جراحه وأحزانه، وتعينه على نوائب الدهر.

ومن ثَمَّ ساوى القرآن الكريم في الإحسان بينه وبين الوالدين واليتامى والمساكين، ليستبقي على حقوقه ويحافظ على مكانته ما دامت الحياة باقية والعلاقات بين الناس قائمة.

وكذا داوم جبريل (عليه السلام) على توصية محمد ﷺ بحقوق الجوار والقيام بواجباته حتى ظن ﷺ أنه سيورثه.

وتحاول هذه الدراسة أن تكشف الحكمة التي دعت من أجلها الشريعة السمحاء إلى النهوض بحق الجوار والإبقاء عليه. لعلها تلفت نظر الكثير منا إلى التفريط الفادح في حق من الحقوق.. ألا وهو حق الجوار.

*** الجوار في اللغة:**

تعددت أقوال أصحاب المعاجم في معنى «الجار» وتقاربت آراؤهم حوله. فيرى الراغب الأصفهاني أن «الجار من يقرب مسكنه منك وهو من الأسماء المتضايفة، فإن الجار لا يكون جاراً لغيره إلا وذلك الغير جار له كالأخ والصديق»[1].

ويوضح هذا القول أن الأصفهاني قصد بالجار كل من يقرب في المسكن أو القرب المكاني ويرى أن لفظة «الجار» من الألفاظ التي تشير إلى التلازم في المعنى، فلا يتصور جار لا يقرب من جاره، ومن ثم اقتضت الضرورة اللغوية أن يكون الجار أخاً أو صديقاً.

ثم يوسع معنى الجار قائلاً: «ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً عُبِّر عن كل من يعظم حقه أو يستعظم حق غيره بالجار»[2]. وهذا يعني أن الحكمة تقتضي من الجار أن يحسن إلى جاره وأن يؤدي ما عليه من حقوق وواجبات، حتى يأنس بوده كما يأنس بجواره، فتصفو الحياة ويلين جانبها.

أما استعظام حق الجار شرعاً فقد أكد عليه الاصفهاني مستعيناً بقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[3].

---

(1) الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، تحقيق/ محمد سيد كيلاني ـ كتاب الجيم ـ ص103 ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ـ الطبعة الأخيرة ـ 1381هـ ـ 1961م.

(2) السابق، ص 103.

(3) سورة النساء، الآية: 36.

فالإحسان إلى الجار مطلب شرعي يتصوره الأصفهاني في القرب المكاني بغض النظر عن النسب أو الملة، إذعاناً لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾، حيث يتطلب التنويع في ذكر الجار، ضرورة الإحسان إلى الجار القريب والبعيد، والنسيب وغير النسيب والمسلم وغير المسلم، تلبية لنداء الشرع الحنيف.

فيقول حول هذا المعنى: «وقد تصور من الجار معنى القرب فقيل لمن يقرب من غيره: جاره وجاوره وتجاور، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾[5].

ووافق ابن منظور تصور الأصفهاني في معنى الجار وهو «القرب المكاني» حيث يقول: «الجوار والمجاورة والجار الذي يجاورك. وجاور الرجل مجاورة وجِواراً وجُواراً، والكسر أفصح، ساكنة. وإنه لحسن الجيرة: الحال من الجوار وضرب منه. وجاور بني فلان وفيهم مجاورة وجواراً: تحرم بجوارهم، وهو من ذلك. والاسم الجِوارُ والجُوارُ»[6] ويرى في الجوار حق يجب العمل به دون النظر إلى الجار النسيب أو الجار الأجنبي ما دام ينزل قريباً من المجاورة.

وهذا ما يراه في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[7] فالجار، ذو القربى «هو نسيبك النازل معك في الحواء»[8]، ويكون نازلاً في بلدة وأنت في أخرى فله حرمة جوار القرابة.

والجار الجنب أن لا يكون له مناسباً فيجيء إليه ويسأله أن يجيره أي

(4) سورة الأحزاب، الآية: 6.
(5) سورة الرعد، الآية: 4.
(6) ابن منظور: «لسان العرب»، 4/ 153 دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ.
(7) سورة النساء، الآية: 36.
(8) «لسان العرب»: 4/ 154.

يمنعه فينزل معه، فهذا الجار الجنب له حرمة نزوله في جواره ومنعته وركونه إلى أمانه وعهده»[9]. ومن ثم يجسد ابن منظور حقوق الجار في الأمن والأمانة بصرف النظر عن النسب أو الديانة والقرب المكاني.

ويحكى ابن فارس في (مجمل اللغة) أن الجار هو «الذي يجاورك ويشاركك، أما الجوار فهو رفع الصوت في الدعاء، يقال: جأر إلى الله تعالى إذا تضرع»[10] ولعل ما ذهب إليه ابن فارس في معنى «الجوار» يشير إلى دور الجار في التخفيف عن جاره في أوقات العسر واليسر.

فإذا ضاقت سبل الحياة على جار ثم تضرع إلى جيرانه، وجب عليهم الوفاء بحق الجوار الذي حث عليه القرآن الكريم في بعض آياته الكريمة، وأكدته السنة المطهرة، ودعت إليه مفردات اللغة، حيث يرى الفيروز أبادي في «القاموس المحيط». أن جار واستجار: طلب أن يجار. وأجاره: أنقذه وأعاذه، ويأتي بالمعنى المقابل للإعاذة والإنقاذ فيقول: «جوره: صرعه ونسبه إلى الجور»[11]، ومن ثم كانت حكمة الإسلام في الإحسان إلى الجار النسيب أو الجار البعيد (في النسب والملة) لأن الجار أقرب الناس إلى جلب النفع أو دفع الضرر بالنسبة لجيرانه.

*** الجار في القرآن الكريم:**

نظم القرآن الكريم تعامل الفرد وسلوكه داخل التجمعات العمرانية حتى يستبقي على روح الوفاق والإخاء التي تصون هيكل هذه التجمعات وتحفظ لها مكانتها الاجتماعية ولما كانت هذه التجمعات متعددة ومتنوعة، رسمت

---

(9) ابن فارس: «مجمل اللغة»، دراسة وتحقيق/ زهير عبد المحسن سلطان ـ 1/ 205 ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط1 ـ 1404هـ ـ 1984م.

(10) الطاهر أحمد الزاوي: «ترتيب القاموس المحيط»، 1/ 554 دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ط3، بدون تاريخ.

(11) الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط 12/ 554 ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ طبعة 1985م.

النصوص القرآنية صوراً عديدة لها كالقرى والمدن والممالك وماأشبه ذلك من أشكال الوحدات الاجتماعية، ويعد الجوار «شكلاً من أشكال الوحدات الاجتماعية التي أوردها القرآن الكريم[12] من خلال قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[13] ولعل المتأمل في بناء هذه الآية وما تحمله من معان شتى يستخرج الكثير من الدرر واللآلئ التي تمتلئ بها كنوز القرآن الكريم.

فإقران الجار بتوحيد الله تعالى والإحسان إلى الوالدين واليتامى والمساكين.. فيه تعظيم وتشريف لحق الجار في الإسلام.

كما يبرز الأمر بالإحسان الذي جاءت عليه الآية الكريمة عظم المكانة التي احتلها الجار في التشريع الإسلامي.

«وليس الإحسان هو تلك الصورة التي تطور إليها معنى اللفظ في مجتمعنا، وهي إعطاء الفقير المحتاج شيئاً فحسب، وإنما هو أوسع دائرة من ذلك، فهو يشمل كل نوع من أنواع المعاملة، فيه سمو، وفيه بر، وفيه تطبيق لمبادئ الفضيلة، وإيثار للسلوك القويم»[14] يتناسب مع منزلة الوالدين في الشرع الحنيف.

كذلك يدعو التنوع في ذكر الجار إلى التوسع في الإحسان حتى يستغرق من قرب جاره أو بعد مزاره أو وصل رحمه أو انقطع نسبه، أو تشابهت ديانته أو اختلفت ملته، دون تمييز أو تفريق... كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

(12) د/ صلاح الفول: «التصور القرآني للمجتمع»، 2/ 156، 157 ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ طبعة 1985م.

(13) سورة النساء، الآية: 36.

(14) الشيخ/ محمد محمد المدني: «المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء»، ص51 ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ـ سلسلة التعريف بالإسلام ـ الكتاب الأول ـ 1382هـ ـ 1962م.

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ حيث اختلفت فيه آراء المفسرين وتعددت أقوالهم، فيشير ابن جرير الطبري إلى اختلاف أهل التأويل في «الجار ذي القربى» و«الجار الجنب».

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فبين أن فيه قولين:

* **الأول**: الجار ذو القرابة والرحم منك.

فقال ابن عباس في ذلك: الجار الذي بينك وبينه قرابة، ويعني ذا الرحم. وقال مجاهد: جارك هو ذو قرابتك. وكذلك قال الضحاك وابن زيد وذهب قتادة إلى أنه إذا كان له جار له رحم، فله حقان اثنان: حق القرابة. وحق الجار، وذكر ميمون بن مهران أن المراد بذلك الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك.

* **الثاني**: ويعني الجار المسلم... ولم يقل به إلا نوف الشامي، وخالفه ابن جرير الطبري وقال: «وهذا أيضاً مما لا معنى له، وذلك أن تأويل كتاب الله تبارك وتعالى غير جائز صرفه إلا إلى الأغلب من كلام العرب، الذين نزل بلسانهم القرآن المعروف، وفيهم دون الأنكر الذي لا تتعارفه، إلا أن يقوم بخلاف ذلك حجة يجب التسليم لها، وإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن المتعارف من كلام العرب، إذا قيل فلان ذو قرابة، إنما يعنى به: إنه قريب الرحم منه دون القرب بالدين، كان صرفه إلى القرابة بالرحم أولى من صرفه إلى القرب بالدين»[15].

وقول الطبري بالجار ذي القربى دون الجار المسلم، له وجاهته من المنظور العقلي وكذلك من الناحية الاجتماعية، لأن القرآن الكريم يأخذ بما يتعارف عليه الناس ويؤكده إذا لم يتعارض مع منهجه السديد.

---

(15) انظر: الطبري: «تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، جـ5، ص78 ـ 79، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ط3، ـ 1388هـ ـ 1968م.

فلو قيل لإنسان ما أن فلاناً ذو قرابة ينصرف المعنى، إلى أنه ذو رحم أو ذو نسب.

وأما قوله تعالى: «والجار الجنب» ففيه ثلاثة أقوال:

* **أولها**: أنه الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والضحاك وابن زيد ومقاتل.

* **والثاني**: أنه جارك عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك.

* **والثالث**: أنه الجار اليهودي والنصراني، كما قال نوف الشامي[16].

ونحن نرجح القول الأول لما يشتمل عليه من العموم والشمول، ومن ثم يستغرق الجار القريب والبعيد والمسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي.

يضاف إلى ذلك مناسبته لأراء كثير من المفسرين، مثل: ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد[17].

وقد رجح الطبري هذا القول في تفسيره حيث يقول: «معنى الجنب في هذا الموضع: الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً لما بينا قبل من أن الجار ذي القربى: هو الجار ذو القرابة والرحم، والواجب أن يكون الجار ذو الجنابة، الجار البعيد ليكون ذلك وصية بجميع أصناف الجيران قريبهم وبعيدهم»[18].

ولعل استنباط الطبري لجميع أصناف الجيران من قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ فيه حكمة وبصيرة ثاقبة وذلك لتحققه من الشمول والعموم اللذين ظهرا من المقابلة التي تمثلت في ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، و﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾.

---

(16) ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، جـ2، ص79، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط4، 1407هـ ـ 1987م.

(17) انظر، ابن قيم الجوزية: زاد المسير في علم التفسير: 2/ 79.

(18) تفسير الطبري، 5/ 79.

أما الألوسي فقد توسع في معنى الجار عندما أوقف حقوقه على القرب المكاني خاصة في معنى ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾.

فيرى أن ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.. الذي قرب جواره و﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي البعيد من الجنابة، ضد القرابة وهي على هذا مكانية»[19].

ويؤكد الشيخ محمد رشيد رضا حكمة الإمام الألوسي في هذا الرأي عندما نبه على «أن الإنسان قد يأنس بجاره القريب مالا يأنس بنسيبه البعيد، ويحتاج إلى التعاون والتناصر ما لا يحتاج الأنسباء الذين تناءت ديارهم»[20].

ويتبين مما سبق أن القرآن الكريم حثَّ في كثير من آياته على مراعاة الجار والإحسان إليه بمختلف معاني الإحسان حتى يرتقي إلى درجة الإحسان بالوالدين دون الالتفات إلى النسب أو الجنس أو الملة، من أجل أن يتعايش الجميع في دفء اجتماعي يوفر لهم روح التعاون والبر والإخاء والأمن والسلامة والنجاة من الفتن والبغضاء التي تؤجج روح العداوة بين أفراد المجتمع الواحد، فتهدر طاقتهم، وتبدد جهودهم وتشتت تجمعهم وتوقف مسيرتهم نحو النهضة بأنفسهم وبلادهم.. الاختلاف الذي أباحه لهم ولكن في صورة تحفظ ودهم، وتبقى على حدود كل منهم تجاه الآخر وذلك في إطار من التنوع.

فإذا تلمست البشرية حكمة القرآن في الإحسان إلى الجار ـ مطلق الجار ـ استطاعت من خلالها جمع أفرادها ومجتمعاتها تحت مظلة واحدة، ألا وهي مظلة (التضامن الاجتماعي) حيث يحيا الجميع في دفء اجتماعي يحقق لهم روح التعاون والإخاء والتضامن والأمن والطمأنينة ويحفظهم من سموم الفتن، وعلل البغضاء التي تؤجج روح العداوة وتشعل نار الفتنة فيما بينهم، ومن ثم

(19) انظر، الألوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، 5/ 28، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

(20) محمد رشيد رضا: «تفسير المنار» 5/ 75 ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1973م.

يتمزق جمعهم، وتضعف عزائمهم، ويتشتت صفهم، وتتوقف مسيرتهم نحو النهوض بأنفسهم وبلادهم.

ولذلك بادر القرآن الكريم بالدعوة إلى تعميم الإحسان إلى الجار، بغض النظر عن الرحم أو النسب أو الملة، بل حفظ لأهل الملل الأخرى حقوقهم ما داموا يحسنون القيام بحقوق الجوار.

وهكذا اتسعت مظلة القرآن الكريم للجار ذي القرابة المكانية دون التفريق بين الملة أو النسب أو الجنس أو غير ذلك من الفروق التي حرمت منها الشعوب غير الإسلامية وأدت إلى حروب عرقية قضت على الأخضر واليابس من ثروات هذه الشعوب، ناهيك عن الدماء التي أريقت من وراء هذه النزعات العرقية المدمرة.

*** الجوار في السنة:**

وضحت السنة المطهرة في الحديث عن (الجوار) العديد من الحقوق والواجبات التي تربط بين المجاورين عندما فصَّلت ما أجمله القرآن، وبينت ما سكت عنه من الحقوق والمعاملات، وكذلك الثواب لمن أحسن والعقاب لمن أساء ومن ثم تناولت السنة الشريفة جوانب عدة مست عن كثب قضية الجوار وأبعادها الاجتماعية، وأهم هذه الجوانب وتلك الأبعاد:

- حد الجوار.
- حق الجوار.
- حكم إيذاء الجار.

فقد تناولت السنة هذه الجوانب لتبسط فيها القول رغبة منها في استكمال واستجلاء رأي الإسلام حول هذه القضية.

أولاً ـ حد الجوار:

ذكر ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) عن

السيدة عائشة (رضي الله تعالى عنها) أنها قالت: قلت يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً»[21].

وأشار ابن حجر في شرحه على هذا الحديث ـ إلى معنى (أقربهما) أي أشدهما قرباً.

ثم كشف عن الحكمة في ذلك عندما ذكر أن الأقرب ـ في الجوار ـ يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها فيتشوف لها بخلاف الأبعد، وإن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات ولا سيما في أوقات الغفلة.

إلا أن أمانته العلمية دفعته إلى توضيح رأي ابن أبي جمرة الذي يرى أن الإهداء إلى القرب مندوب، لأن الهدية في الأصل ليست واجبة فلا يكون الترتيب فيها واجباً[22] ومن ثم يكون تأكيد الرسول ﷺ على توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس من خلال نظرة واقعية تزكي الأقرب فالأقرب ثم الأبعد فالأبعد حتى يستنهض عزائم الجار في نجدة جاره إذا ألمت به نائلة أو نزلت به ضائقة.. أو يحسن له القول إذا لاقاه أو عاتبه أثناء مرضه.

ولم يتوقف حرص الرسول ﷺ على تعميق البعد الاجتماعي عند الأقرب باباً، بل زاده سعة عندما روت عنه السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنه قال: «**حد الجوار أربعون داراً من كل جانب**» وعن الأوزاعي مثله[23].

وأكد القرطبي على ما جاء في قول عائشة (رضي الله عنها) عندما حكى في تفسيره عن رجل جاء إلى النبي ﷺ فقال: «**إني نزلت محلة قوم وإن أقربهم إلي جواراً أشدهم لي أذى، فبعث النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً يصيحون على**

---

(21) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 21/ 233 باب حق الجوار في قرب الأبواب، تحقيق السيد محمد عبد المعطي وآخرون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1398هـ ـ 1978م.

(22) انظر: السابق، 21/ 232.

(23) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 21/ 232.

أبواب المساجد إلى أن أربعين داراً جار، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[24].

وإذا كان صاحب الرسالة ﷺ هو صاحب الدعوة في إقامة علاقات اجتماعية حسنة بين الجيران بغض النظر عن دينهم أو نسبهم وأجناسهم. فهل يبقى على ظهر الأرض جار لا يعظم جاره أو يحسن إليه بالقول والفعل؟!!

فإذا وجد في مجتمع ما من يسيء إلى جاره أو يقطع أواصر الود والمحبة فيما بينه وبين جيرانه، ألا يكون ذلك دليلاً على غياب الوعي الديني وفقدان المنهج النبوي في الحرص على إقامة علاقات اجتماعية بناءة عنده؟!!

إن التوسع الذي دعت إليه السنة المطهرة في حد الجوار دليل قاطع وبرهان ساطع على فاعلية الآداب الإسلامية في تعميق البعد الاجتماعي بين الناس جميعاً.

كما يدل على منهج الشريعة الغراء المتميز في توثيق التعاون في الجوار ليكون عوضاً للجار عما قد يعتريه من قطيعة نسب، أو فقدان ولد، أو ضعف جسد، أو ندرة مال أو غياب جاه.

وهذا يوافق ما أكدته الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة التي تذهب إلى أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يستطيع العيش بمفرده.

ومن ثم ذهب الشيخ محمد عبده في حد الجوار إلى أنه لا يحدد بالبيوت، ولكن بالرجوع إلى العرف، كما يرى أن الأقرب حقه آكد، وإكرام الجار من أخلاق العرب قبل الإسلام، ولما جاء الإسلام زاده تأكيداً بالكتاب والسنة[25].

---

(24) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، 2/ 274، 275.

(25) انظر: تفسير المنار، 5/ 75.

ثانياً ـ حق الجوار:

تمتع الجار في الإسلام بحقوق جمة وفريدة، حفظت له حقه، وصانت له عهده، ورعت مشاعره، وآنست وحشته، وكانت له عوضاً عن أهله وعشيرته إذا لم يكن له أهل، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[26].

اختلف العلماء في معنى التوريث «فقيل: يجعل له مشاركة في المال بفرض سهم يعطاه مع الأقارب. وقيل: أن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة»[27] وهذا توريث حسي وآخر معنوي وهذا ما ذهب إليه أبو جمرة عندما قسم الميراث إلى قسمين: حسي ومعنوي، وقال إن المعنى الحسي هو المراد من هذا الحديث. أما القسم المعنوي فميراث العلم»[28].

ويمكن القول بأن ذكر التوريث في الحديث الآنف تأكيد لمشروعية القيام بحقوق الجوار لأن التوريث حق شرعي سنه الإسلام بين الأهل والأقارب ليعلي به المكانة التي تحتلها صلة الرحم في الإسلام.

ومن ثم أراد رسول الله ﷺ أن يكشف للناس عن حرص المولى عز وجل في القيام بحقوق الجوار كما هو الحال في «الميراث» ولذلك استأنس ﷺ في حديثه بكلمة «سيورثه».

وكان رسول الله ﷺ صاحب منهج سديد في أداء حق الجوار، ويتجلى هذا في تقسيمه وتصنيفه لأنواع الجوار فروى البخاري في صحيحه في حديث

---

(26) الإمام الحافظ المنذري، الترغيب والترهيب، 3/ 360، تحقيق مصطفى محمد عمارة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1373هـ، 1954م.

(27) السابق: 3/ 360، 361.

(28) السابق: 3/ 360، 361.

مرفوع أخرجه الطبراني من حديث جابر رفعه: «الجيران ثلاثة: جار له حق وهو مشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم: له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق: مسلم له رحم، له حق الجوار والإسلام والرحم»[29].

ويؤكد هذا التصنيف على تقريبه ﷺ بين الناس بدرجات متفاوتة تتيح للمتأمل فيها مراعاته ﷺ لدرجة القرابة في النسب أو الدين أو الجوار حتى تزداد الأجيال المتعاقبة تماسكاً بالنسبة أو الدين أو الجوار.

ويجب أن لا يصرف هذا المعنى إلى التمييز والتفريق في القيام بحقوق الجوار بين الجار القريب في النسب أو الملة أو البعيد في أحدهما أو كليهما؛ لأن التقسيم في النوع ودرجة القرابة وليس في العطاء أو المنع.

ومن ثم ذهب المنذري في مسمى الجار إلى معان عدة تشمل (المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب الأجنبي، والأقرب داراً والأبعد.

وله مراتب بعضها أعز من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها ثم أكثرها وهلم جرا إلى الواحد. وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيعطي كل حق بحسب حالة. وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوى.

وقد جعله عبد الله بن عمرو أحد من روى الحديث على العموم. فأمر لما ذبحت له شاة أن يهدى منها لجاره اليهودي[30].

وبهذا قال الطبري عندما أشار إلى أن «الجار يطلق ويراد به الداخل في الجوار ويطلق ويراد به المجاور في الدائرة وهو الأغلب. والذي يظهر أن المراد

(29) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 21/ 226.
(30) الترغيب والترهيب، 3/ 360، 361.

به في الحديث الثاني، لأن الأول كان يرث ويورث، فإن كان هذا الخبر صدر قبل النسخ في التوريث بين المتعاقدين فقد كان ثابتاً فكيف يترجى وقوعه، وإن كان بعد النسخ فكيف يظن رجوعه بعد رفعه. فتبين أن المراد به المجاور في الدار»[31].

ومن ثم يمكن القول أن منزلة الجار في الإسلام تتساوى مع منزلة القرابة في النسب أو الدين من حيث الإحسان إليه ومعاملته بالمعروف والوقوف بجواره في أفراحه وأحزانه ومساعدته عند عوزه ومساندته عند وهنه وضعفه.. والوقوف بجانبه في كل أمر يشغله حتى يستشعر من ليس له أهل أن الإسلام أبدله أهلاً خيراً من أهله، ويجد من ليس له ولد أن الإسلام أغناه بالجار عن الولد والجاه والمال.. من خلال الحقوق التي فرضها على الجار المسلم.

ولكن ما هي الحقوق التي فرضها على الجار؟!!

حكى ابن حجر في حديثه عن إيذاء الجار أن أبا الشيخ ذكر في كتاب التوبيخ ما جاء في حديث معاذ بن جبل عن الصحابة قالوا: «يا رسول الله. ما حق الجار على الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته وإن أصابه مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له وإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[32].

وتعد جملة الآداب والحقوق التي بيَّنها لنا رسول الله ﷺ فيما يقتضيه الجوار؛ نسقاً اجتماعياً يتيح لأفراد المجتمع المزيد من التقارب والتعاضد

(31) انظر السابق: 3/ 360، 361.
(32) انظر السابق: 21/ 230، 231.

والتواصل في فعل الخير، والمشاركة الجماعية التي تغني الفرد عن أهله إذا نأى عنه الأهل وتعوضه عن الولد إذا لم يرزق الولد. . وذلك لما جمعته الآداب الكريمة من أنواع شتى من البر والإحسان والتضامن والتكافل التي تبقي على مكانة الجار وتحفظ له ماء وجهه إذا استقرض جاره أو استعان به أو افتقر إليه، والوقوف بجواره في مصيبته، واتباع جنازته، وإذا كانت هذه الحقوق متعلقة بالواقع وتمس الأحداث الواقعية التي تعتور الجار في حياته، فإن رسول الله ﷺ زاد على ذلك عندما حافظ على مشاعره وأحاسيسه، بل مشاعر وأحاسيس طفله الصغير فنهى القادر على البناء ألا يستطيل به على جاره حتى لا يمنع عنه الريح من جانب ويشعره بالعجز عن الاستطالة في البناء من جانب آخر.

كما صان وجدانه واحترم مشاعره عندما منع إيذاءه بريح الطعام الذي قد يخرج من قدر الجيران فتميل إليها نفسه أو يرغب في الطعام ولده، فيناشد أباه في طعام مثله، وقد لا يقدر على ذلك.

كذلك حرص ﷺ على ستر الجار وعدم تعريته أمام ولده، عندما حث الجار على أن يهدي جاره فاكهة إذا أتى بنصيب منها، فإذا لم يفعل أوجب عليه أن يدخلها سراً، حتى لا يغيظ ولده أولاد جيرانه أو يتطلعون إليها فيدفعون آباءهم على شراء مثلها وقد لا يملك ذلك.

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يوصي بعض أصحابه بالتوسع في الطعام حتى يهدى منه جيرانه.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن خليلي ﷺ أوصاني فقال: «إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف»[33].

فلم تكن حقوق الجار التي بيَّنها النبي ﷺ مجرد آداب هامدة تلاها على

(33) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: 8/ 425 تحقيق عصام الضبابطي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1415هـ، 1994م.

نفر من أصحابه أو عشيرته ثم انصرف، ولكنه كان يبعثها من حين لآخر عن طريق التكليف أو الوصاية لبعض أصحابه أو بعض أهله بعد أن يسبق ﷺ غيره في إنجازها وتحقيقها.

ولما كان رسول الله ﷺ أعلم أهل الأرض بخبايا النفوس، أشار في حديث رواه الحافظ المنذري عن أبي الشيخ ابن حبان في كتاب (التوبيخ) إلى صعوبة القيام بحقوق الجوار، فقال ﷺ: «**لن يؤدي حق الجار إلا قليل ممن رحم الله أو كلمة نحوها**»[34].

فلو حقق الناس آداب الشرع في نفوسهم؛ لسعدت البشرية جمعاء وعاش الناس في أمن وطمأنينة، ولم نجد هذا التصدع في صرح البناء الاجتماعي للأسرة والمجتمع بل تخطى ذلك إلى تصدع بين الدول العربية والإسلامية ولو أقام المسلمون آداب الجوار التي بيَّنها لنا رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، في حياتهم وأخذوا بها في واقعهم، لذاب هذا التشرذم وتوطدت أواصر المحبة بين الأفراد والمجتمعات والشعوب والدول.

ولكن البعد عن كنوز الشرع الحنيف، أدى إلى إفلاس الكثير من الأفراد والمجتمعات في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية... ومن قبل في الجانب الديني والعقدي مما أدى إلى التأثير على الهوية الإسلامية ومحاولة طمس معالمها في ظل العلمانية، والماركسية وأخيراً (العولمة) والسعي الجاد لاستبعاد دور الدين في تنظيم حياة الأفراد والشعوب، والبحث عن بدائل غريبة تتمثل في مذاهب الإلزام الخلقي التي يرى أصحابها إمكانية إحلالها محل الديانات السماوية فيذهب (جيرمي بنتان ـ وجون استيوارت مل) إلى أن مذهب المنفعة العامة أو اللذة الحسية يمكن أن تقود الإنسان إلى ما يمكن أن يفعله من خير أو شر.

---

(34) الترغيب والترهيب، 3/ 357.

كما ذهب أصحاب المذهب الاجتماعي مثل (دوركايم ـ وأوجست كونت ـ وليفي بريل) إلى أن المجتمع هو الذي يملك التشريع للفرد والجماعة وليس الدين.

كذلك يشير (شافتسبري) إلى أن الوجدان والشعور (الحاسة الخلقية) يمكن أن تحل محل الدين.

وكذلك يشير (كانط) إلى أن العقل مقدم على كل شيء وأن ما يقره العقل يعد بمثابة قانون أخلاقي يحب الالتزام به واعتباره (واجباً أخلاقياً).

وهكذا أدت الغفلة بحقوق الجوار في الإسلام إلى تصدع الكيان الإسلامي وخروج الأخ على أخيه والصغير على الكبير وذوبان الحقوق والحدود، مما أدى إلى تمكن القوى المعادية للإسلام من نفث السم في العسل ليتجرعه المسلمون.

وتظهر آثاره القريبة في اعتداء الجار على جاره، واعتداء دولة إسلامية على حق الجوار لدولة إسلامية أخرى وسلب ثرواتها وتشتيت شعبها وعدم الاكتراث بآداب الإسلام في الجوار والسماح للقوى الغربية بالتدخل في شؤون الأقطار العربية والإسلامية، ثم الانصياح والتسليم لقرارات الأمم المتحدة بدلاً من احترام آداب الإسلام. إن هذا التفريط في حق الإسلام من قبل بعض الشعوب والدول له آثاره السلبية ـ في الحاضر والمستقبل ـ على هذه الشعوب وتلك الدول.

ويا ليت هذه الدول تثق فيما عند الله تعالى من شرع حنيف يحافظ على النسيج الاجتماعي للفرد والأسرة والمجتمع، ويضمن السلامة للشعوب والقبائل من ريح التشرذم العاتية، ويرسم خطط المستقبل المضيئة بنور الله الأبدي، ومن ثم يعود لها العز والمجد الحضاري الذي دام على مدى التاريخ ما يربو من ألف عام.

ثالثاً ـ حكم إيذاء الجار:

بينت السنة المطهرة ما أجمله القرآن الكريم في حكم إيذاء الجار، ونوعت الثواب والعقاب لمن يحسن إلى جاره أو من يسيء إليه.

لعل التنويع في العقاب يسترعي اهتمام المتأدب بآداب الشرع الحنيف، ويستوقف نظر المتمسك بدينه والحريص على عقيدته.

وذلك لأن العقوبات التي أنزلتها السنة المطهرة، منها ما يرفع عن المسلم الإيمان الكامل بالله تعالى، ومنها أيضاً ما يحرمه من دخول الجنة أو يكون ذريعة في دخوله النار.

فقد روى الإمام البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[35] أي ظلمه وغشمه.

وحكى ابن حجر العسقلاني شرح ابن بطال حول هذا الحديث حيث يقول: «قال ابن بطال في هذا الحديث تأكيد حق الجار لقسمه ﷺ على ذلك وتكريره اليمين ثلاث مرات، وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو الفعل، مراده الإيمان الكامل، ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان»[36].

ويتبين من قول ابن بطال، أن الإيمان ينقص عند من يؤذي جيرانه ومن ثم يتساوى في إيمانه مع إيمان العصاة والمذنبين.

أما الإمام النووي فيذهب في معنى هذا الحديث إلى جوابين أحدهما: أنه في حق المستحيل، والثاني أن معناه ليس مؤمناً كاملاً[37] ولكن من غير أن يرجح أحدهما على الآخر.

---

(35) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 21/ 228.

(36) السابق: 21/ 229.

(37) السابق: 21/ 229.

وأما ابن حجر فيرى أنه «يحتمل أن يكون المراد أنه لا يجازى مجازاة المؤمن بدخول الجنة من أول وهلة مثلاً، أو أن هذا خرج مخرج الزجر والتغليظ، وظاهره غير مراد»[38].

على أية حال.. يصاب المؤمن المؤذي لجيرانه في دينه وإيمانه بقدر من الأذى قد يذهب بالإيمان كله أو ينقص منه كماله وإتمامه.

وهذا يوافق قول ابن أبي جمرة.. «حفظ الجار من كمال الإيمان[39]، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ولما جاء الإسلام زاده حفظاً وأنزله منزلة كريمة تتجلى في الثواب والعقاب اللذين بينتهما السنة المطهرة.

ومما روي عن ابن مسعود في هذا المقام، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قسَّم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه. قلت: يا رسول، وما بوائقه؟ قال: **غشمه وظلمه، ولا يكسب مالاً من حرام، فينفق منه فيبارك فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن. إن الخبيث لا يمحو الخبيث»**[40].

يبيّن هذا الحديث الشريف ما رغب عنه رسول الله ﷺ من ظلم للجيران وما وصف به من يقول بذلك الظلم والغشم وهو نفي الإيمان الكامل عنه ويأتي حثُّ الرسول ﷺ على الإحسان إلى الجار وعدم ظلمه، ضمن جملة الإرشادات النبوية الشريفة التي توضح للناس جميعاً أن الأخلاق مقسمة منذ الأزل كما قسمت الأرزاق، وأن السيئ لا يذهب بالسيئ، ولكن السيئ يذهب بالعمل

(38) السابق: 21/ 229.

(39) انظر: فتح الباري، 21/ 226، الترغيب والترهيب، 3/ 360، 361.

(40) الترغيب والترهيب، 2/ 278، 279.

الصالح والفعل الحسن.. وفي هذا تنبيه لمن يقدم على الظلم أو يفعل الخبائث، أن يسارع إلى تقديم الخير الذي ينفع الناس حتى يتجاوز الناس عما قدمه من الموبقات، ومن أهمها: ظلم الجار. حتى يكتمل إيمانه وتقوى عقيدته ومن ثم يستحق المغفرة من الله تعالى.

ومما يؤكد ذلك ما ذهب إليه الحافظ المنذري في نفي الإيمان عن من لم يأمن جاره بوائقه ويرى أنها «مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار، وأن أضراره من الكبائر»[41].

كما يشير إلى افتراق الحال في ذلك بين الجار الصالح وغير الصالح، إلا أنه يرى أن الخير والموعظة بالحسنى والدعاء بالهداية هو ما يجب أن يشمل الجميع.

فيرى أن الصالح «يخصه جميع ما تقدم، وأما غير الصالح فيخصه كف الأذى الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضاً ويستر عليه زلله عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفاد فيه وإلا فيهجره قاصداً تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب»[42].

هذا عن نفي الإيمان عمن لم يأمن جاره ظلمه ولا غشمه، وأما عن نفي الإيمان باليوم الآخر، فقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[43].

ومما جاء عن ابن حجر في المعنى المراد من قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» أي «من آمن بالله الذي خلقه وآمن أنه سيجازيه بعمله فليفعل

(41) السابق: 3/ 360، 361.

(42) انظر: الترغيب والترهيب 3/ 340 بتصرف.

(43) فتح الباري، 21/ 230، 231 ـ صحيح مسلم بشرح النووي: 1/ 293، 294.

المذكورات» وفي قوله ﷺ «فلا يؤذ جاره» قيامه بحقوق الجوار التي بيَّنَها رسول الله ﷺ في حديث سابق[44].

وروى الإمام مسلم الحديث برواية أخرى عن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**»[45].

وقال الإمام النووي في معنى «فليحسن إلى جاره» أي «من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما، وكل ذلك تعريف بحق الجار والحث على حفظه»[46].

ويمكن القول بأن تنويع رسول الله ﷺ للعقاب الذي يلقاه من لم يأمن جاره بوائقه ومن لم يحسن إلى جاره ويؤدي ما عليه من واجبات نحوه، دليل ساطع على حرمة الجوار في الإسلام وعظم منازلتها في الدين الحنيف وذلك لأن رسول الله ﷺ هو المبلغ عن ربه تعالى وهو الذي لا ينطق عن الهوى.

فإذا كان صاحب الرسالة هو الذي ينوع الجزاء عمن يؤذي جاره ويمنع الخير عنه ولم يقم بحق الجوار، فإن هذا دليل على رغبة السماء في الحفاظ على قوة النسيج الاجتماعي التي تظله آداب الجوار في الإسلام، كما يعد ذلك إشارة على حرص رسول الله ﷺ في إقامة بناء اجتماعي متماسك تقوي أواصره حقوق الجوار التي بيَّنتها السنة المطهرة.

وأما عن حرمان المؤذي لجيرانه من دخول الجنة فقد بينته السنة المطهرة في أحاديث جمة، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي

(44) انظر: الترغيب والترهيب 3/ 340 بتصرف.

(45) صحيح مسلم بشرح النووي: 1/ 293 (باب الحث عن إكرام الضعيف ولزوم الصمت إلا عن الخير).

(46) انظر السابق، 1/ 294.

الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»[47] وجاء عن الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث الشريف أن «البوائق جمع بائقة» وهي الغائلة أو الداهية والفتك.

وقال في معنى قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة» جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا.

أحدهما: أنه محمول، على من يستحل الإيذاء مع علمه بتحريمه، فهذا كافر، لا يدخلها أصلاً.

والثاني: معناه جزاؤه أن لا يدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أوْ لا[48].

وأشار الإمام النووي إلى مغزى قوله بهذين التأويلين ما ورد عن أهل الحق أن من مات على التوحيد مصراً على الكبائر فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة أولا، وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة..[49].

وسواء كان استبعاد الجار الظالم عن الجنة أو تأخره في دخولها حتى يعفى عنه فهذا بلا ريب عقاب يحذره التقي الورع، ويتجنبه الحريص على رضا الله والخائف من عقابه.

أما إذا خلا الإنسان من مراقبة الله تعالى في أقواله وأفعاله فلا يتوقع منه الخير أو يرجى منه المنفعة أو القيام بحقوق الجوار.. ومن ثم وجب عليه العقاب بالقدر الذي يقضي به الله تعالى عليه، إلا إذا تاب وأناب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.

وفي حديث آخر ربط رسول الله ﷺ بين استقامة القلب واستقامة اللسان

---

(47) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 1/ 293.
(48) صحيح مسلم بشرح النووي: 1/ 293.
(49) انظر السابق، 1/ 293.

وبين من لم يأمن جاره بوائقه حتى يلفت النظر إلى العلاقة بين استقامة القلب واللسان وبين القيام بحقوق الجوار.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه**»(50).

ونستخلص من هذا الحديث الشريف أن القيام بحقوق الجوار متسق اتساقاً عضوياً مع استقامة القلب واللسان، وكلاهما دليل على صدق الإيمان واستقامته، ومن ثم يعتبر التهاون في القيام بحقوق الجوار إشارة على ضعف الإيمان الذي يتجلى في صدأ القلب واعوجاج اللسان.

ويبرز الترابط العضوي بين آداب الجوار وبين إسلام المرء وإيمانه وقدرته على الجهاد في سبيل الله تعالى في هذا الحديث الذي رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ حيث قال: «**المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(51).

يبين هذا الحديث مدى التقارب بين المؤمن الذي يأمنه الناس على أموالهم وأعراضهم وبين المسلم الذي يسلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر الذي رغب عن المعاصي والذنوب وهجر السوء، وبين المسلم الذي يأمن جاره بوائقه وظلمه.

كما يوضح الحديث الشريف التشابه بين من رفع عنه الإيمان الكامل لأن الناس لا تأمن شره وبين الذي ابتعد عن الإسلام لأن الخلق لم يسلموا من لسانه ويده، وبين المتقاعس عن القتال لأنه لم ينفر من الذنوب ولم يبتعد عن الآفات

(50) الترغيب والترهيب 2/ 278، 279.

(51) السابق: 2/ 278.

والرذائل، وبين المسلم الذي حُرِمَ دخول الجنة لأن جيرانه لم يأمنوا ظلمه وغشمه.

ويشتد العقاب ويحدق الخطر بالذي فرَّط في حقوق الجوار لأن رسول الله ﷺ أعلن بصراحة في حديث شريف رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل**»[52].

وهكذا يدافع الله ورسوله ضد الجار الجائر ومن ثم يتيقن هذا الجائر أنه هالك لا محالة وأن الله تعالى سيجعل كيده في نحره وسوف تلاحقه لعنة الله ورسوله.

وانظر ـ رحمك الله ـ إلى موالاة الله ورسوله للجار المظلوم التي تتمثل في درء الأذى عنه قبل الاعتداء عليه بما قد يلاقيه من آثار الحرب ونتائجها المدمرة.

وفي ذلك إشارة إلى أن المعنى المرجو من كلمة «أذى» هو الاعتداء بالسب والقذف على الجار دون التعدي عليه بإتلاف جسده أو هدم بيته، أو قتل ولده، أو اغتصاب عرضه وشرفه، أو السطو على ماله وأرضه... إلى غير ذلك من ألوان الاعتداءات التي تلحق الضرر المادي والحسي به أو بأهله.

ونستخلص من هذا الحديث الشريف مراعاة الله ورسوله لمشاعر الجار وتحصينها بسياج منيع يبعد عنها الأذى والتعدي ويتولى الدفاع عنه ضد من يظلمه أو يجور عليه ومن ثم يثق أن النصر حليفه فلا يحزن ولا يضعف وإنما ينتظر النصر من الله تعالى.

ومن المواقف التي تجلى فيها غضب رسول الله ﷺ الشديد ما أورده الإمام المنذري في ترهيبه وترغيبه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: «جاء

(52) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم: كشف الخفاء للعجلوني.

رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال له: **اذهب فاصبر**، فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال: **اذهب فاطرح متاعك في الطريق** ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألون، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع، فإنك لن ترى مني شيئاً تكره»[53].

وقد جاء الحديث على رواية أخرى عن أبي جحيفة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ: يشكو جاره، قال: «**اطرح متاعك على الطريق** فطرحه، فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لقيت من الناس، قال: **وما لقيت منهم؟** قال: لعنوني، قال: **قد لعنك الله قبل الناس**، فقال: إني لا أعود، فجاء الذي شكاه إلى النبي ﷺ فقال: **ارفع متاعك فقد كفيت**»[54].

ويتحقق المتدبر في العلاج الذي قدمه رسول الله ﷺ لكل من الجار الجائر والجار المجار عليه تمتعه، بجوانب تربوية عديدة.

فالجار الجائر باء بلعنة من الله ورسوله تقوده إلى عذاب نفسي في الدنيا، وعذاب حسي في الآخرة، كما لحقته لعنات من الناس ونفور من نفسه ضيقت عليه معاملاته مع الناس، ومن ثم تضيق عليه الأرض بما رحبت.

وأما الجار المظلوم فقد حظي بمعية الله له وتولي الدفاع عنه، كما حظي بوقوف الناس حوله ومشاركتهم له في صبره على هذا الظلم الذي سيؤول إلى فوز ونجاح وعطف من الله تعالى ورسوله ومن الناس، ومن ثم تكون نفسه راضية مطمئنة بشرط أن يثق بما جاء في هذا الحديث.

وينتج عن ذلك شعور متولد في نفس الجار الجائر أنه خسر نفسه وألحقها لعنة من الله ورسوله ومن الناس فيدرك أن في ظلمه لجاره ظلماً للناس جميعاً،

---

(53) الترغيب والترهيب.

(54) المعجم الكبير للطبراني.

وأن مغبة هذا الظلم لا يستطيع حملها، أو لا يقوى عليه جسده ولا تطيقه نفسه فلا يعود إليه مرة أخرى.

ومما جاء في حق إيذاء الجار أيضاً ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) حين قال: قال رجل يا رسول الله: إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: **هي في النار**، قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار[55] من الأقط[56]، ولا تؤذي جيرانها، قال: **هي في الجنة**»[57].

فانظر ـ متعك الله بفضله ـ إلى كثرة العمل الصالح مع إيذاء الجار وما فعله هذا الإيذاء في العمل الصالح من إزهاق وتضييع ودخول النار... وتأمل ما أدى إليه الإحسان إلى الجيران ولو بالقليل من الفضل من نيل رضا الله تعالى ورسوله ﷺ والتمتع بنعيم الجنة، وما ذلك إلا لرفعة مكانة الجار في الإسلام وتعظيم حقه وسمو منزلته.

*** الجوار والتضامن الاجتماعي:**

يتيقن صاحب الفكر المستنير والمدرك لآداب الجوار في الإسلام، أنها تتمتع بمسحة اجتماعية تقوي أواصر النسيج الاجتماعي الذي يقرب بين الجيران في المكان والزمان، وكذلك في المصالح العامة والمنافع المشتركة التي يقتضيها قرب المكان والمضايفة.

وإذا كان التضامن أو التكافل هو التعاون الذي يقيمه الناس فيما بينهم فإن الجار أحق الناس في إقامة هذا التعاون والتبادل البنّاء والمثمر، لتقدم الجار على غيره في إسداء معروف أو كف أذى أو إلحاق ضرر بجيرانه أكثر من غيره.

---

(55) قال المحقق: الأثوار بالمثلثة وهي قطعة من الأقط.

(56) الأقط بفتح الهمزة وكسر القاف وضمها أيضاً هو شيء يتخذ من محيض اللبن الغنمي.

(57) الترغيب والترهيب، 3/ 356.

ومن هنا كانت حكمة الإسلام في دعوة المسلمين إلى تعميم الإحسان ونشر البر على الجار بغض النظر عن القرابة في الدين والنسب، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[58] . . .

وإذا كان الإحسان في الجوار يمتد ليسع القريب والبعيد في النسب والملة، فإن التكافل يمتد أيضاً «بين الفرد وذوي قرباه ليشمل من لا تربطه بهم علاقة رحم مباشرة ويمتد كذلك حتى لمن تربطه بهم سابقة معرفة، والنصوص القرآنية توضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[59] .

ويتطلب «الإحسان» الذي دعت إليه الآية الكريمة العطاء الذي يفوق العدل؛ لأننا إذا تعاملنا مع الناس وأخذنا منهم الحق وأعطيناهم حقوقهم، نكون قد أخذنا بالعدل، أما إذا تجاوزنا هذه المنزلة إلى ما هو فوقها من الرفق والإيثار، فقدمنا لأخواننا في المجتمع بعض حقوقنا لينتفع بها من هو بحاجة إليها، أو نتقبل منهم أقل مما قدمناه لهذا الغرض الشريف، فإننا ـ حينئذ ـ نسير على الإحسان، والله تعالى يأمر بالعدل والإحسان»[60] .

والإحسان المراد من هذه الآية يخالف تلك الصورة التي تطرق إليها معنى اللفظ في مجتمعنا وهي إعطاء الفقير المحتاج شيئاً فحسب؛ وإنما هو أوسع دائرة من ذلك، فهو يشمل كل نوع من أنواع المعاملة فيه سمو، وفيه تطبيق لمبادئ الفضيلة، وإيثار السلوك القويم»[61] .

وإذا كانت متطلبات الإحسان تتسع لهذا الكم من العطاء، فإن مقتضيات التكافل الاجتماعي التي يدعو إليها الجوار في الإسلام تشتمل على جوانب عديدة من جوانب الخير.

---

(58)(59) سورة النساء، الآية: 36.

(60) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، ص50، 51 بتصرف.

(61) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، ص50، 51 بتصرف.

ومما يؤكد ذلك أن رسول الله ﷺ نهى عن مصاحبة من يؤذي جاره، «فقد روي عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال: خرج رسول الله ﷺ في غزاة، فقال: **«لا يصحبنا اليوم من آذىٰ جاره»**، فقال رجل من القوم: أنا بلت في أصل حائط جاري، فقال: لا تصحبنا اليوم»[62]. وفي شرح هذا الحديث للمحقق قال: «انظر ـ رعاك الله ـ إلى نهي من اعتدى بالبول على أساس حائط جاره أن يرافقه في الغزو... إلى هذا الحد يترك الرجل فلا يحارب العدو لنصر دين الله. نعم إنه لا يؤمن، إنه معتد، إنه أثيم فلا يجاهد المذنب بإخلاص ومن لا يُخاف الله يُخاف منه»[63].

ونستخلص من هذا الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ يرى أن إيذاء الجار ولو بالتبول على أساس حائطه ذنب ينقص صدقه ويقل إخلاصه، وقد يعتريه الخوف والضعف ومن ثم لا يقوى على القتال ولا يرقى لشرف الشهادة في سبيل الله تعالى.

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الجار السوء، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار مقامة فإن جار البادية يتحول»**[64].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ شبه جار السوء بجار البادية الذي يتنقل من مكان إلى آخر بحثاً عما يشبع غرائزه ويحقق ما تهفو إليه نفسه.

وهكذا بينت السنة المطهرة، حد الجوار، وحق الجوار، وكذلك جزاء من يسيء إلى جاره من عقاب من الله ورسوله ومن الناس، كما بينت ثواب من يحسن إلى جاره من الله ورسوله ومن الناس، ذلك من خلال الأحاديث الشريفة

(62) الترغيب والترهيب: 3/ 355.
(63) السابق، 3/ 355.
(64) السابق، 3/ 355.

التي ربطت بين رضا الله تعالى ورضا رسوله ﷺ وبين احترام الجار والقيام بحقوقه، كما بينت عذاب الله تعالى وغضب رسوله ﷺ لمن تقاعس عن حقوق جاره أو أهمَلَ جزءاً منها وذلك يؤكد حرص الشريعة الغراء على قيام مجتمع إنساني آمن، يسوره التعاون، ويصبغه الود الصافي في الذي ينتظر صاحبه الجزاء الأوفى من الله تعالى.

ومن هنا «لا يتم التكافل بين الفرد والجماعة من خلال صور البر المختلفة وحدها وإنما يتم ذلك من خلال المسؤوليات التي أنيطت به على وجهها الصحيح، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[65].

إذن فالتكافل هنا ليس منة، وإنما هو ضروري لصالح الجماعة حتى يستقيم حالها من جهة، وتأكيد للمسؤولية الجماعية التي رسم حدودها رسول الله ﷺ من جهة أخرى[66]، في أحاديث كثيرة وردت في السنة الصحيحة والمطهرة[67]، فإذا كان بعض ذوي القربى ينأى بهم المكان أو تفرقهم الظروف والأحوال، فإن الجار متحصن من هجر الزمان أو بعد المكان، بسبب التضامن الاجتماعي الذي يدعو إليه الجوار.

ومن هنا يمكن القول بأن آداب الجوار في الإسلام أكدت على ضرورة التضامن الاجتماعي الذي يقوم على أداء الفروض والواجبات التي تقتضيها إقامة مجتمع متماسك تحكمه المصالح المشتركة وتعمل على تقدمه وازدهاره وأمنه لمراعاة جوانب البر والإحسان بين أفراده. وذلك لأن الجماعات الإسلامية مأمورة بما أمر به الفرد المسلم من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي

(65) سورة التوبة، الآية: 105.
(66) التصور القرآني للمجتمع، 1/ 653.
(67) التصور القرآني للمجتمع، 1/ 653، 654.

عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[68].

والأمر بالمعروف هنا يكمن بالتكافل الذي تقيمه الجماعة بين أفرادها وإزاء أبنائها، والوقوف بشدة أمام كل من يحاول الإفساد وفيها أو يحاول الخروج على قيمها ومعاييرها[69] ومن هنا ندرك أن الجوار قيمة أخلاقية تنمي قواعد الترابط الاجتماعي وتحثُّ على الإنسانية التي تجمع الناس على كلمة سواء وتوحد وتوفق بين آرائهم حتى ينهضوا بمجتمعهم إلى آفاق التقدم العلمي والرقي الأخلاقي.

«وفي إطار التنموية وتحقيق التكامل الاجتماعي، لا شك أن القيم في الكتاب والسنة، قد وضعت الأسس الكاملة، ورسمت المسارات وغرست الأصول النفيسة، ووضعت التشريعات الملزمة، وأقامت الحراسات الواقية من السقوط والنكوص، أو التوقف الاجتماعي، حيث لم يقتصر التكافل الاجتماعي والتنمية في الإسلام على الجانب المادي كما هو الحال في الضمان الاجتماعي في الدول الغربية، وإنما جاءت القيم والتشريعات التكافلية شاملة لجميع جوانب الحياة، بما في ذلك الجانب المادي والجانب المعنوي، حيث جعلت تكامل الفرد وتكافله مع نفسه وتزكيتها هو الأساس في عملية التنمية والتكافل الاجتماعي.

فالإنسان غير المتكافل مع نفسه (غير سوي) يصعب عليه أن ينظر للآخرين نظرة سوية أو يمتلك القدرة على التكافل معهم[70].

أما التصور الإسلامي لمفهوم التكافل فإنه يمتد إلى مراحل أرقى من ذلك، عندما جعل الإسلام نجاة الفرد مرهونة إلى حد بعيد بنجاة الآخرين،

(68) سورة آل عمران، الآية: 104.

(69) سورة آل عمران، الآية: 104.

(70) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 8/ 425 ـ فتح الباري في شرح البخاري: 21/ 228.

وربط كمال الإيمان بحب الآخرين، وبذلك أقام بناء الأصول النفسية للعملية التكافلية والتنموية التي تقوم على الأخوة والرحمة والإيثار، والعفو والتقوى»[71] إلى غير هذه الآداب الأخلاقية التي جاء بها القرآن الكريم، وأكدها رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، بل جسدها ﷺ عندما كان قرآناً يمشي بين الناس. ومما روي عنه، قوله ﷺ: **«ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جنبه جائع وهو يعلم»**[72].

«إن دعوة الرسول ﷺ إلى هذا النظام، وهذه الصورة الإسلامية في ملكية الأموال والإنفاق منها في وجوه الخير، كفيل بأن يقوى بين الناس شعور التكافل والتضامن الاجتماعي. وهذا يحقق التوازن الاجتماعي. وهذا التوازن الذي يحفظ لكل واحد حقه في العمل والرزق ويجعله يحيا حياة كريمة»[73].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعم التضامن الاجتماعي بين الناس بصفة عامة، وبين الجيران بصفة خاصة، قوله ﷺ: **«خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»**[74].

والآيات الدالة على حرص الرسول ﷺ في تأكيد مبدأ التكافل الاجتماعي في هذا الحديث على مستوى الفرد والجماعة كثيرة. . . ، ومنها كلمة (خير) التي وردت بالحديث والصورة المستقلة التي جاء عليه (المصدر) وما تحمله من الرغبة في الاستمرار وتقديم الخير لكل من الصاحب على مستوى الفرد، والجار على مستوى الجماعة.

---

(71) د. عمر عبيد حسنة (مقدمة) كتاب: «إنفاق العفو في الإسلام» للدكتور يوسف إبراهيم ـ كتاب الأمة ـ قطر.

(72) الترغيب والترهيب: 3/ 358، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(73) د. محمد يوسف موسى: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة، ص212 بتصرف.

(74) الترغيب والترهيب، 3/ 360، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومنها أيضاً العموم والشمول في أداء الخير أو القيام به للقريب أو البعيد، للفقير أو الغني، القوي والضعيف، وذلك لأن (كلمة خير) نكرة.

كما تعد المفاضلة عند الله تعالى والتي أوقفها الرسول ﷺ في هذا الحديث على مقدار الخير الذي يقدمه الصاحب لصحبه أو الجار لجاره، دعوة للمنافسة في أداء الخير أو القيام به، ومن ثم تعد دعوة للمنافسة على نشر مبدأ التضامن الاجتماعي على مستوى الفرد وكذلك على مستوى الجماعة.

وروي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! اكسني فأعرض عنه. فقال: يا رسول الله اكسني فقال: **«أما لك جار له فضل ثوبين؟ قال: بلى غير واحد، قال: فلا يجمع الله بينك وبينه في الجنة»**[75].

وفي الحديث الشريف دلائل كثيرة على حرص الرسول ﷺ في توثيق عرى المجتمع الإسلامي بأواصر التضامن الاجتماعي والتأكيد عليها من خلال الترغيب والترهيب الذي يكمن في البعد عن الجنة كجزاء لمن زاد فضله وكثرت خيرات الله تعالى عليه ولم يعد منها على جيرانه وهو يعلم حالهم.

ويؤكد هذه المسؤولية ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كم من جار متعلق بجاره يقول يا رب سل هذا لم أغلق عنّي بابه، ومنعني فضله»**[76] وفي ذلك إشعار بالمسؤولية ينبهنا إليها رسول الله ﷺ حتى يحفظ الجار الغني حق جاره الفقير فيما أفاء الله تعالى عليه من الخيرات والنعم، فإن لم يؤد هذا الحق سيكون عرضة لتحمل مغبة هذا المنع وعدم الموالاة للجار والسؤال عنه.

ومن هنا نستخلص ضرورة إقامة تضامن اجتماعي بين الناس عامة وبين

(75) السابق: 3/ 358، 359.

(76) ابن المنذر، الترغيب والترهيب، 3/ 359.

الجيران خاصة بل يمكن القول بأن التكافل الاجتماعي بين الجيران واجب في الإسلام يعاقب عليه الأغنياء المقصرون في الآخرة.

ويزكي ذلك ما روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول خصمين يوم القيامة جاران**»[77] أي جاران متخاصمان متنازعان يقضي الله بينهما بالحق.

وتشير أسبقية الحساب للجارين المتخاصمين يوم القيامة إلى عظم الأمر عند الله وغضبه الشديد من الجار الذي تسبب في إيجاد القطيعة مع جاره.

وفي ذلك حثٌّ وإرشاد على تواصل المعاملة الحسنة والعلاقات الطيبة بين الجيران، ونبذ التخاصم والفرقة ومحاولة التغلب على الأسباب التي تؤدي إليها، حتى لا تقود صاحبها إلى سرعة عقاب الله تعالى له..

ويرى أهل البر والإحسان أن حساب الله تعالى للعبد عقاب قبل أن يكون عتاباً، فإذا أساء جار معاشرة جيرانه، يكون لا محالة عرضة للإصابة بألوان من الأذى منها: خسران ود الناس وحبهم ونفورهم من مساعدته، وحرصهم على البعد والقطيعة، فيصبح بذلك عرضة للهلاك في أي وقت تنزل به الكوارث أو تحل به الأزمات، وهي لا محالة واردة لأنها من سنن الله تعالى في خلقه.

ونشير إلى أن رسول الله ﷺ ذكر في أحد أحاديثه أن الجار الصالح من الأسباب التي تجلب السعادة، وأن الجار السوء أحد العناصر التي تحمل الشقاء.

فعن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء والمركب السوء، والمسكن الضيق**»[78].

---

(77) السابق، 3/ 355.

(78) السابق، 3/ 363.

ففي تقديم (الجار السوء) على غيره من أسباب الشقاء دلائل ساطعة على ضرورة توفير المجتمع الآمن من خلال حسن المجاورة وتحقيق التكافل الاجتماعي.

*** الجوار والوحدة الإنسانية:**

إذا كانت آداب الجوار في الإسلام ذريعة لإقامة مبدأ التضامن الاجتماعي بين الجيران خاصة وبين الناس عامة، فإنها تعد أيضاً ركيزة أساسية في صنع «وحدة إنسانية» تذيب الفوارق وتمحو الحدود التي قد توجدها تعدد الاتجاهات والمذاهب أو اختلاف المفاهيم والآراء.

فالإحسان الذي حثَّ عليه الإسلام ليكون وسيلة التعامل والتعايش بين الجيران، كفيل بأن يقيم هذه الوحدة «الإنسانية» مهما اختلفت الملل أو النسب أو تعددت المذاهب لأنه ـ الإحسان ـ يفوق قيمة «العدل» في العطاء للغريب والقريب. والمسلم وغير المسلم، والغني والفقير، والقوي والضعيف... إلى غير ذلك من الفئات المختلفة والمتعددة التي تتكون منها المجتمعات.

وتساعد آداب الجوار على تحقيق الوحدة الإنسانية لأن الإسلام «أقام مجتمعه على مبدأ ـ الوحدة الإنسانية ـ بعد أن كانت العصبية هي التي تسود القبيلة والعشيرة والبيت».

وأوضح الإسلام أن الإنسانية إنما تنبع من أصل واحد وتتجه إلى إله واحد، كما اعتبر الإسلام اختلاف الألسنة والالوان والأجناس والأمكنة ليس مبرراً لفرقة الناس وتنابذهم وإنما هي دعوة للتعارف والتآلف تحقيقاً لهدف استخلاف الله للإنسان في الأرض، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[79] وقال أيضاً جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

(79) سورة الروم، الآية: 22.

عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[80]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[81].

وهنا يمكن القول بأن الأساس الأول الذي ينهض عليه المجتمع الإسلامي هو «الوحدة الإنسانية» سواء من حيث الأصل أو الهدف من الخلق هو التجمع لا التفرق، وإن كانت هناك بعضُ مظاهر الاختلاف في الألسنة والألوان فهي ليست دليل تفرقة أو تمايز وإنما دليل قدرة الله الذي خلق كل شيء»[82].

وإذا كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء فإن توحيد المخلوقات لإله واحد يسهم في تقريب الشعور الإنساني وتكوين الوحدة الإنسانية.

كما يعد مقياس التفاضل الذي يكرم الله تعالى به عباده، وهو «التقوى» من أبرز العناصر التي تنمي الرغبة في تحقيق هذه الوحدة، وتعمل على تجسيد آداب الجوار فيما بينهم.

ومن هنا كان الطريق ممهداً أمام آداب الجوار في الإسلام للإسهام في إضافة لبنات في صرح الوحدة الإنسانية.

فإذا دققنا النظر في تناول الإسلام لهذه القضية، نرى أنه «يقرر في صراحة لا لبس فيها، وفي قوة لا هوادة معها (وحدة) الناس جميعاً من الناحية الاجتماعية التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات، لا فرق بين جنس وجنس، ولا بين فرد وفرد.

لقد محا الإسلام من أول الأمر النعرة الجاهلية ووجوه التفاخر بالأحساب والأنساب، إذ أبان أن أصل الناس جميعاً واحد. إذ ينادي في كتابه الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ..﴾[83].

(80) سورة الحجرات، الآية: 13.
(81) سورة النساء، الآية: 1.
(82) التصوير القرآني للمجتمع، 1/ 82، 83.
(83) سورة الحجرات، الآية: 13.

فلا تفاضل بالأجناس، أو الأنساب أو الغنى أو الجاه. أو غير هذا مما تعارف عليه الناس كمقياس للقيم وأساس للتضامن.

ومن أجل ذلك ليس هناك طبقات في الإسلام سببها الجنس أو الجاه مثلاً، وليس فيه تشريعات للعربي وأخرى لغير العربي، كما كان الأمر عند اليونان والرومان، بل المسلمون جميعاً في نظر الدين الإسلامي «وحدة» واحدة من هذه الناحية أيضاً، تحكم شريعة واحدة، لا تفرق بين غنيهم وفقيرهم.. بل إنه لا فرق في هذا كله بين المسلمين وبين غيرهم من المقيمين بدار الإسلام وتحت لوائه، وفي هذا يقرر الرسول أن «**لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات**»[84].

ولم يغفل الإسلام طبيعة الاختلاف في الانتماء إلى الديانات أو العقائد، وإنما بين في كتابه العزيز أنه لو شاء لجمع الناس على دين واحد وأمة واحدة ولكن جعل الاختلاف من سنته في خلقه.

ولذا «أكدت النصوص القرآنية على أن الناس مختلفون سواء من حيث الشرائع التي تنظم علاقتهم بالله سبحانه أو من حيث طرائقهم في التعبد: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[85]، وهذا الاختلاف في الدين يدور في فلك إرادة الله ومشيئته: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[86]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[87]. ومع اختلاف الأمم بعث الله في كل أمة رسولاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم﴾[88]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[89]، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[90]..

(84) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص22.
(85) سورة المائدة، الآية: 48.
(86) سورة المائدة، الآية: 48.
(87) سورة هود، الآية: 118.
(88) سورة يونس، الآية: 47.
(89) سورة النحل، الآية: 36.
(90) سورة فاطر، الآية: 24.

ومن ثم فقد عرفت الإنسانية كثيراً من أنبياء ورسل، بعضهم ورد ذكره في النصوص القرآنية وبعضهم لم يرد ذكره ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[91]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[92].

وهكذا تؤكد النصوص القرآنية سمة الاختلاف بين الناس في الاعتقاد أو الملة إلا أنها دعت إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على احترام الاختلاف في الدين أو الرأي، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝1 لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝2 وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝3 وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝4 وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝5 لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[93]، بل جعل الإسلام حرية الاعتقاد من حق الناس جميعاً»[94]، قال تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[95].

كما تدعو الشرائع السماوية إلى التراسل بين الشعوب واحترام الإنسان لأخيه الإنسان، وترفض الخروج على الآداب الأخلاقية وتتوعد من يأتيها بالعقاب والعذاب الأليم.

وقد حارب الإسلام (العصبية) من خلال تأكيده على ضرورة الالتزام بآداب الجوار وجعل من المجاورة عوضاً للجار عن أهله وذويه، إن لم يكن له أهل، أو ابتعدوا عنه، وغالباً ما تنشأ هذه العصبية «عندما يطلب شخص ما أن يكون في حماية شخص أو جماعة أخرى تدفع عنه ظلماً أو عدواناً وقع أوهو وشيك الوقوع على المجير إن قبل إجارة من لجأ إليه أن يعلن ذلك على الملأ حتى يكون الجميع على علم بقبول إجارة من استجاره، وعندئذ يصبح الجار

(91) سورة النساء، الآية: 164.
(92) سورة غافر، الآية: 78.
(93) سورة الكافرون، الآيات: 1 ـ 6.
(94) سورة الكهف، الآية: 29.
(95) التصوير القرآني للمجتمع 2/ 284.

وكأنه واحد من أهل بيت المجير له، يجب عليه الحماية والأمان ضد من يحاول النيل منه أو إيذاءه»[96].

ومن هنا يمكننا استنباط فاعلية «آداب الجوار في الإسلام» في محاولة تحقيق الوحدة الإنسانية، وجمع الأفراد والمجتمعات على هدف واحد وغاية واحدة، تتمثل في مراعاة المصالح المشتركة والنهوض بالمجتمعات إلى مستوى الوحدة والحضارة التنموية والاقتصادية.. التي تعود بالخير الوفير على الفرد والمجتمع وذلك لأن «التشريع الإسلامي يرمي إلى إصلاح الفرد والمجتمع، فالنزعة السائدة فيه هي النزعة الجماعية وهذا الطابع الجماعي للتشريع الإسلامي نجده فيما جاء الإسلام به من نصوص شرعية كما هو واضح، فيما أتى من أحكام المعاملات التي نراها في الحياة العملية.

فكل هذه التشريعات في هاتين الناحيتين، تهدف إلى تهذيب الفرد وإصلاحه وإلى الصالح العام للمجتمع بأسره[97].

ومجمل القول أن الإسلام قد استعان ببعض تشريعاته في تحقيق التضامن الاجتماعي والوحدة الإنسانية، ومن هذه التشريعات «آداب الجوار»، فقد تبين من البحث والتنقيب أن آداب الجوار في الإسلام أسهمت بحظ وافر في إقامة مجتمع إنساني يستطيع أن يصون آدابه، وينمي آلياته، ويدعو أفراده بألوان شتى من صور الترابط والتماسك... ومن هنا تتيح لكل مجتمع يأخذ بها سبل التقدم والرقي وتمكنه من تحقيق الازدهار العلمي وملاحقة ركب التقدم الحضاري المعاصر، دون إفراط أو تفريط في توجيه إمكانات هذا التقدم إلى الضرر أو الفساد ـ كما يحدث في الحضارة الغربية ـ بل تكرس كل الإمكانات الحضارية المتاحة إلى إسعاد الفرد والجماعة في ظل نسق اجتماعي متكامل يجسد معاني الوحدة الإنسانية التي تحث على آداب الجوار في الإسلام.

---

(96) التصوير القرآني للمجتمع 1/ 718، 719.

(97) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص158، بتصرف.